الفصل الرابع

علوم ما وراء الطبيعة ودراسة الروحانيات

إن علوم ما وراء الطبيعة هى علوم دراسة كل ما ليس بمادة ملموسة ويؤثر فى تكوين وتوازن وصحية المادة الملموسة. علوم ما وراء الطبيعة هى علوم خاصة بما هو غير مرئى بالعين المجردة أو مسموع أو محسوس، ولكنه موجود وهو جزء لا يتجزأ من المادة. فلكل جسم مادى أجسام غير مادية ساكنة فيه ومحيطة به، وهى جزء من الجسم المادى ومكملة له فى منظومة الخلق الكونى.

لقد تأسست دراسات وعلوم ما وراء الطبيعة لدراسة كل ما هو لا مادى وخصوصًا دراسة الروح بما إنها سيدة العالم اللامادى فى هذا الكون، وسمى ذلك الدراسات الروحانية. لقد كان الماضى الأسطورى يغلب على المفهوم الروحى وعلى الرؤية الكونية الخرافية واللاهوتية. أما بعد ظهور هذه العلوم، فصار الحاضر والمستقبل معقولين ضمن هذا المفهوم، الذى أصبح جزاء من التقدم الثقافى والعلمى.

لقد وجد علماء ما وراء الطبيعة والروحانيات ارتباطًا كبيرًا بين علم الأرواح وعلم التنويم المغناطيسى «Hypnosis» وعلم التخاطر ونقل الأفكار عن بعد (Telepathy) وأيضًا علوم ما يسمى بالأشباح والجن. ولم يعد علم الأرواح قاصرًا على التسلية والهواية أو كشف المجهول.. بل دخل مجال العلاج الطبى وخاصة فى الأمراض التى عجز الطب الحديث عن شفائها مثل الصرع أو الجنون والشيزوفرينيا. وألفت فى ذلك الكثير من الكتب والأبحاث، وبعضهم

إستطاع إجراء عمليات جراحية بالأرواح لإخراج الأورام من جسم الإنسان فى مؤتمر عام وبشهود من الأطباء.

لكن كما يحدث لأى علوم جديدة تبحث فى اللامادى، فإن لعلوم دراسة الأرواح متابعوها ومناهضوها. لذلك سأحاول فى هذا الفصل الرد على بعض إعتراضات المناهضين، وسنمحص معًا عزيزى القارئ قيمة الحجج التى يستندون إليها مبتغين الحقيقة ودون أى تسرع فى الحكم على صحة هذه العلوم ومدى جدواها لفائدة العلوم الإنسانية المتعلقة بدراسة الروح الإنسانية. سنبدأ بإستعراض بإختصار سلسلة الظواهر المتتابعة التى حدثت تدريجيًا فى عالمنا فى القرنين الأخيرين والتى كانت مصدرًا ملهمًا لهذه العلوم.

إن أول ظاهرة شاهدها العالم هو تحرك الأشياء، والتى أشير إليها بإسم المائدات الدوارة أو المائدات الراقصة. هذه الظاهرة التى كما نعلم، شوهدت أولًا فى أمريكا الشمالية، أو إنها بالأحرى تجددت هناك، إذ أن هذه الظاهرة معروفة منذ أقدم عصور التاريخ، وقد حدثت فى ظروف غريبة، تبعتها ضوضاء غير إعتيادية وطرقات لا مسبب ظاهرًا لها. ولم يطل الوقت حتى إنتشرت بسرعة فى أوروبا ومنها فى أقطار أخرى فى العالم. هذه الظاهرة بإختصار هى حركة الموائد الدوارة وإهتزازها أثناء جلسات تحضير الأرواح وبحضور عدة أشخاص معًا فى نفس الوقت. فى البداية، نظر إلى تلك الحوادث بعين الشك، ولكن بعد أن إزداد عددها، إستحال الشك فى حقيقتها. على إنه لو كانت هذه الظاهرة مقتصرة على تحرك أشياء مادية، لأمكن شرحها بأنها ناتجة عن عوامل طبيعية مادية بحتة. ذلك لأننا نجهل جميع الخصائص الخفية الكامنة فى الطبيعة، ولا نعرف أيضًا جميع خصائص العوامل الطبيعية: فالكهرباء والطاقة النووية والطاقات المتجددة تفاجئنا بأشياء جديدة نافعة للإنسان، وكأنها قوة جاءت لتضئ العلوم بنور جديد. يمكن الظن إذا أن الطاقة بأنواعها، فى ظروف

خاصة أو بتأثير مجهول، هى السبب المحرك أو أن اجتماع عدة أشخاص يزيد هذه القوة المحركة ويعضد هذه النظرية، مما يمكن تشبيه الاجتماع ببطاريات عديدة يشتد نشاطها بإزدياد عدد العناصر التى تدخل فيها.

لا تدهشنا الحركة الدائرية لكونها من حركات الطبيعة، وجميع الكواكب تتحرك حركة دائرية، وربما نحن أمام إنعكاس مصغر لحركة الكون العامة، أو بنحو أوضح، أن هناك عاملًا لم يزل مجهولًا لنا قد يؤثر على الأشياء الصغيرة وفى حالات معينة، ومن هذا التأثير ينشأ تيار مشابه للقوى التى تدفع الكواكب فى حركتها. غير أن حركة المائدات فى جلسات تحضير الأرواح لم تكن دائمًا دورانية، بل إنها فى كثير من الأحيان تحدث فجأة ودون إنتظام، فتهتز الأشياء بعنف وتتطرح على الأرض ثم تسير إلى جهة ما، مخالفة كل قواعد إعتدال الأجسام، تصعد وتستمر فى الفضاء. ومع ذلك من الممكن تعليل هذه الظواهر بوجود عامل طبيعى غير مرئى يسببها. ألا نرى كيف أن الطاقة الكونية من كهربية إلى نووية إلى مائية يمكن أن تهدم الأبنية الكبيرة وتقلع الأشجار من مكانها وترمى الأشياء الثقيلة بعيدًا، وتجذبها أو تدفعها!!

إذا إفترضنا أن الضوضاء غير العادية والطرقات لم تكن نتيجة صادرة عن تمدد الخشب أو عن سبب عرضى آخر، فربما كان سببها تجمع المانع الخفى. ألا تحدث الطاقة عمومًا دويًا أقوى عند إنفجارها. وكما ترون مما سبق، فمن الممكن كما قال عالم دراسة الروحانيات «ألن كاردك» إعتبار هذه الظواهر بأنها ذات أصل وظائفى ومادى. ولكنه استطرد بعد ذلك بأنه حتى إذا خرج العلماء على هذه الإعتبارات الفكرية فإن فيها ما هو جدير بالدراسة والتنقيب الجاد.

فلماذا لم يفعل معظم العلماء الذين تناولوا هذه الظاهرة ذلك؟ إن الإهمال فى هذا الشأن يرجع إلى أسباب عديدة منها بالأساس عدم رغبة العقل البشرى بالتصديق، ولكون تلك التجارب حدثت فى البداية بواسطة أدوات عادية

للغاية، فربما يدعو ذلك إلى أن نستغربها. إن فكرة تجربة المائدة إنتصرت فى النهاية على غيرها، دون شك لأنها أسهل إستعمالًا ولأن حولها يجلس عدد من الأشخاص لهذا الغرض. إلا أن نخبة من العلماء وأفضل العقول إعتبروا من الإهانة لمراكزهم العلمية أن يتنازلوا للبحث فيما إتفق على تسميته بالموائد الراقصة. من المحتمل أيضًا لو أن الظاهرة التى شاهدها العالم (جالفانى) فى تجاربه مع الضفادع (تحرك جسد الضفدعة الميتة نتيجة تنبية عضلاتها بالتيار الكهربائى) قد شاهدها أحد من العوام، لكانوا وصفوها بتسمية هزلية، ولنفوها إلى مجال الخرافة.

لكن عمومًا، هناك ثمة علماء محايدون، يبحثون عن الحقيقة والمعرفة، يعترفون بأنه مالايزال فى الطبيعة ربما أسرار لم تتكشف لهم بعد. لو بقيت تلك الظواهر التى نحن بصددها الآن، مقتصرة على تحريك أشياء، لكانت من خصائص علم الطبيعيات كما ذكرت سابقًا. ولكن ما يحدث مغاير لذلك، إذا مالبث أن ظهر فيها ما ينذر بأعجب الأمور. فقد إكتشف المشاهدون فى تلك الجلسات، ولا نعلم كيف، إن تلك الأشياء الجامدة لم تكن تدفعها قوة آليه عمياء، بل كان فيها أثر لمسبب ذكى. كان هذا الإكتشاف بمثابة باب فتح للدخول فى ميدان جديد، ورفع الستار عن كثير من الأسرار. وراح الناس يتساءلون: هل تلك الحركات ذات أصل ذكى؟ وإذا كانت هناك قوة ذكية، فما هى؟ وما هو كنهها ومصدرها؟ أهى فوق بشرية؟ تلك هى الأسئلة التابعة للسؤال الأول والناتجة عنه.

فى البداية، كانت تلك الظواهر الذكية والمسجلة فى كتب ودوريات مراكز البحث الروحانية تحدث بواسطة الموائد التى كانت ترتفع، ثم تدق بإحدى أرجلها الأرض عددًا معينًا من الدقات مجيبة «نعم» أو «لا» على الأسئلة الموجهة إليها طبقًا لإصطلاح سابق. ولكن هذا وحده لم يكن بذاته كافيًا لإقناع

المشككين، إذا كان ممكنًا أن تنسب تلك الإجابات إلى عامل الصدفة أو إلى عامل بشرى. ولكن لم يطل الوقت حتى بدأت تأتى أجوبة مفصلة بواسطة حروف الهجاء. وكانت المائدة المتحركة تقرع أرجلها مرات مختلفة العدد مخصصة لكل حرف من الحروف. فصارت تتركب كلمات وجمل للإجابة على الأسئلة الموجهة إليها. كانت صحة الأجوبة وترابطها مع الأسئلة يدهش السائلين، عندما سئل الكائن الخفى الذى كان يعطى تلك الأجوبة، عن طبيعته، أجاب بأنه روح، وإن إسمه فلان، وجاء بتفاصيل عديدة عن نفسه، لنلاحظ هنا نقطة جديرة بالإنتباه، وهى أن فكرة أنهم أرواح لم تكن فى ذهن أى شخص من الحاضرين المكلفين بشرح الظاهرة، بل أتى شرحها من الظاهرة نفسها. فى العلوم الوضعية يبدأ الباحثون عادة بإفتراض النظرية كأساس لعملية الإختبار، ولكن ما حصل هنا كان مخالفًا لذلك.

طريقة التواصل بواسطة حروف الهجائية، كانت بطيئة وصعبة، فإقترح «الروح» (وهنا نقطة أخرى هامة تستحق الذكر) بأن يستعمل، عوضًا عن تلك الطريقة، قلم رصاص يركب على سلة صغيرة أو على شىء آخر. فكانت تلك السلة تتحرك على الورقة بواسطة نفس القوة الخفية التى تحرك الموائد. ولكن بدلًا من الحركة السابقة المنتظمة، بدأ العلم يكتب حروف ثم كلمات ثم سطورًا فخطابًا كاملًا عديد الصفحات، متناولًا أعلى مسائل الفلسفة وأمور الأدب والعلوم النظرية والعلوم النفسية، إلخ. وكانت الكتابة سريعة ككتابة اليد.

وحدث كما هو مسجل فى تاريخ الدراسات الروحانية، أن هذا الإقتراح بالكتابة بقلم السلة جاء فى وقت واحد فى أمريكا وفرنسا وفى عدة بلدان أخرى. أما فى باريس، فجاء فى ١٠ يونيو سنة ١٨٥٣ موجهًا إلى أحد المهتمين بدراسة علوم الأرواح والذى كان يتمتع بخبرة طويلة فى إستدعاء الأرواح منذ عام ١٨٤٩. وهذا ما ذكره هذا «الروح» له: «عليك بسلة صغيرة تجدها

فى الغرفة المجاورة، خذها وإربط قلمًا ثم ضعها على ورقة وضع أصابعك على حافة السلة». وبعد أن تم ذلك، لم تمضى إلا دقائق قليلة حتى بدأ العلم يتحرك ويكتب بخط واضح هذه الجملة: «لا أسمح لك أبدًا أن تقول لأحد عما أحدثك به. عندما أكتب ثانية تتحسن كتاباتى»!!

ونظرًا إلى أن ما يستعمل لتثبيت القلم هو مجرد أداة للكتابة، لذلك فإن نوعه وشكله لا أهمية لهما بتاتًا، إذا القصد الرئيسى هو الوصول إلى التدبير الأسهل، وهكذا بدأ أناس كثيرون يستعملون لوحة صغيرة. على إنه سواء السلة أو اللوحة، فهى لا تتحرك إلا بوجود تأثير عليها، صادر عن بعض أشخاص يملكون قوة خاصة فى هذا الصدد ومعروفين باسم «الوسطاء» أى إنهم يتوسطون بين الأرواح والبشر كما يقولون.

تؤكد مبادئ علم الروحانيات أن الحالة التى تساعد على ظهور هذه القوة فتأتى من بواعث جسدية ومعنوية معًا. ولا تزال غير معروفة تمام المعرفة، إذا أن هناك وسطاء من كل الأعمار نساء ورجالًا، ومن جميع درجات التطور العقلى. على أنها موهبة تنمو وتتقوى مع التكرار فى ممارستها.

لم يمضى الكثير من الوقت حتى إتضح للممارسين أن السلة واللوحة ليست فى الواقع إلا زوائد اليد، فحين أخذ الوسيط القلم بيده، بدأ يكتب ويده مندفعة بقوة خارجة عن إراته وبسرعة فائقة. كانت نتيجة هذه الطريقة أن أصبحت الإتصالات أسرع وأسهل وأكمل مما كانت قبلًا. وحتى هذا اليوم، فهذه الطريقة الأكثر إستعمالًا، خاصة وأن عدد الأشخاص الموهوبين بهذه الموهبة كبير جدًا ويزداد يومًا بعد يوم. ومع مرور الزمن، توصل الدارسين الروحانيين إلى طرق أخرى كثيرة فى الموهبة الوساطة، وصار من المعروف أنه يمكن مخاطبة الأرواح بواسطة الكلام والسمع والبصر واللمس وحتى بواسطة كتابة الأرواح مباشرة. أى دون يد الوسيط ودون القلم كما سجلوا فى تجاربهم البحثية.

وها نحن إذن أمام أحداث واقعية خارجة عن دائرة ما إعتاد الناس مشاهدتها. وهى أحداث لا تحدث خفية، وإنما علنة حيث يستطيع كل من يشاء أن يراها ويتأكد من حقيقة وقوعها. وهى لا تقتصر على شخص واحد يمتاز بها، بل يمكن إلتماسها لدى الآف الناس، وفى كل يوم من الأيام. يتحتم طبعًا أن يكون لهذه الظواهر مسبب لأن فيها ما يدل على الذكاء والإرادة ولذلك، فهى تخرج حتمًا من دائرة الظواهر المادية المحصنة.

وقد قدمت فى هذا الشأن نظريات عديدة، سوف نذكرها لاحقًا، لنرى إذا كانت فعلًا الأرواح تنتقل للآحياء من البشر بهذه الظواهر، ولنبحث سويًا مدى دقة ومصداقية علوم الروحانيات فى دراسة تفاصيل الروح ومساراتها المختلفة.

خلاصة تعاليم الأرواح التى أظهرتها الدراسات الروحانية

هذه الكائنات المذكورة التى تخاطبت مع مجموعات من الناس الذين حضروا جلسات حضور هذه الأرواح، وصفت نفسها هى بذاتها، كما قلنا سابقًا، بأنها أرواح، وقالت إن البعض منها على الأقل، كانوا قد عاشوا سابقًا على الأرض وأنهم يكونون العالم الروحى، كما نحن نكون العالم الجسدى طيلة حياتنا على الأرض. وسأقدم فيما يلى، تلخيصًا للنقاط الهامة التى تم تسجيلها من تعاليمهم والتى سجلتها محاضر الجلسات البحثية التى تم التواصل فيها معهم لكى أوضح بعض الإجابات لإعتراضات المشككين فى هذه الظاهرة والتى ذكرها «ألن كاردك» عالم الروحانيات الرائد:

أفاد التواصل مع هذه الأرواح بالنتائج الآتية:

١ ـ أكدوا بحقيقة أن الله أزلى، ولا يتغير، وهو لا مادى، ووحيد، وقادر على كل شىء، وسامى العدالة والطيبة إلى أعلى درجة.

٢ ـ خلق الكون الذى يشمل كل الكائنات المتمتعة بالحياة والمجردة من الحياة ـ الكائنات المادية واللامادية.

٣ ـ العالم الروحى هو العالم الأصلى والخالد، ووجوده سابق لكل الأشياء وباق بعد كل الأشياء.

٤ ـ العالم الجسدى ثانوى الأهمية ، لا فرق لو كف عن الوجود أو لم يوجد البتة، دون أن يؤثر ذلك على جوهر العالم الروحي.

٥ ـ تكتسى الأرواح مؤقتًا بكساء مادى وفان، وإنحلال هذا الكساء بالموت يعيد إليها حريتها.

٦ ـ إختار الله الجنس البشرى من بين أجناس الكائنات الجسدية، لتتجسد فيه الأرواح التى بلغت درجة ما من الإرتقاء، مما يجعلها متفوقة أخلاقيًا وعقليًا على الكائنات الآخرى.

٧ ـ نفس الإنسان هى روح متجسدة، ولا يعدو الجسد أن يكون غلافًا لها.

٨ ـ فى الإنسان ثلاثة عناصر: الأول هو الجسد، أى الكائن المادى ويحييه المبدأ الحيوى، الثانى الذى هو النفس أى الكائن اللامادى، أو الروح المتجسد فى الجسد، والثالث هو الصلة التى تربط الروح إلى الجسد والتى هى العنصر المتوسط بين المادة والروح.

٩ ـ هكذا يكون للإنسان طبيعتان: بجسده يشارك طبيعة الحيوانات وغرائزها، وبروحه يشارك طبيعة الأرواح.

١٠ ـ الصلة أو غلاف الروح، الذى يصل الجسد بالروح، هو عبارة عن غلاف نصف مادى، وبالموت ينحل الغلاف الغليظ أى الجسد، فيحتفظ الروح ولو إنه فى بعض الحالات الخصوصية، يستطيع الروح أن يكون مرئيًا وحتى أن يلمس، كما يحدث فى ظاهرة ظهور الأشباح.

١١ ـ الروح إذن، بناء على هذه المعلومات المستقاة من الأرواح ذاتها حسب «الين كاردك» ليس كائنًا مجردًا ومبهمًا وغير محدد، لا يدرك إلا فى تخيل الإنسان، بل هو كائن حقيقى محدد ومتعين، يمكن فى أحوال خاصة التحقق من وجوده بواسطة حواس النظر والسمع واللمس. كما أن للأرواح درجات مختلفة وليسوا متساويين فى القدرة ولا فى الذكاء أو فى المعرفة أو فى الأخلاق. فأرواح الدرجة الأولى هم الأرواح السامية الذين يمتازون عن الآخرين بالكمال وبإتساع معارفهم ومجاورتهم لله وسمو مشاعرهم وحبهم للخير. وهؤلاء هم الملائكة أى: الأرواح الطاهرة، أما الدرجات الأخرى، فهى تحمل أغلب شهواتنا البشرية كالحقد والحسد والغيرة والكبرياء.. إلخ، وتسر بالبشر.

١٢ ـ وداخل هذه الدرجات أيضًا أرواح ليست كثيرة الخير ولا كثيرة الشر، بل هى مزعجة ومضايقة ودساسة أكثر مما تميل إلى الشر، وأهم طابع فيها هو ميلها إلى الخبث وعدم المسئولية. وهؤلاء هم الأرواح الطائشة والغبية. لا تبقى الأرواح على الدوام فى نفس الدرجة، بل يرتقى جميعها مجتازًا درجات التدرج الأرواحى على إختلافها. أما إرتقاءهم فيتم بواسطة التجسد أى التأنس، الذى يفرض على البعض منهم كتكفير، وعلى البعض الآخر كرسالة. إن الحياة فى المادة تجربة يتحتم عليهم إحتمالها مرات عديدة إلى أن يصلوا إلى الكمال المطلق. فالحياة فى المادة تعمل بمثابة مصفاة للتنقية يخرج الروح منها مطهرًا إلى حد ما.

١٣ ـ بعد ترك الروح للجسد، يقول الروحانيون أن الروح تعود إلى عالم الأرواح من حيث أتت عندما بدأت وجودًا جديدًا فى المادة، وستبقى

فى عالم الأرواح برهة طويلة أو قصيرة نسبيًا تكون خلالها فى حالة روح جوالة.

١٤ ـ يؤمن الروحانيون بتجسد الروح مرات عديدة، و هذا يعنى طبقًا لنظريتهم إننا جميعًا عشنا حيوات عديدة، وسنعيش حيوات أخرى فى درجات مختلفة من التقدم، إما على هذه الأرض أو فى عوالم أخرى.

١٥ ـ يؤمن الروحانيون أيضًا بأن تجسد الأرواح يحدث دائمًا فى الجنس البشرى، فمن الخطأ الظن بأن الروح قد تتجسد فى جسد حيوان، وأن الحيوات الجسدية المختلفة التى يعيشها الروح فى الجسد، هى دائمًا تقدمية ولا يمكن أبدًا أن تكون تراجعية. لكن سرعة التقدم متناسبه مع إجتهادنا للوصول إلى الكمال. فالروح عندهم قبل أن يتجسد، كان له فرديته، وبعد إنفصاله عن الجسد، يحتفظ بتلك الفردية.

١٦ ـ يعتقد الروحانيون تبعًا لتعاليم أرواحهم أن الروح عندما يعود إلى عالم الأرواح، يلتقى بجميع الذين عرفهم على الأرض. وتنبسط أمام ذاكرته كافة حيواته السابقة، فيبصر كل الخير وكل الشر الذى فعله. تسيطر المادة على الروح المتجسد، لكن الإنسان الذى يتحرر من تلك السيطرة بواسطة الإجتهاد للصعود بروحه والعمل لتنقيتها، يتقرب من الأرواح الصالحة، ويصبح فيما بعد واحدًا منها. أما الإنسان الذى يدع نفسه يسقط تحت سيطرة الأهواء الدنيئة، ويمعن فى إشباع شهواته، يقترب من الأرواح النجسه وتسود فيه طبيعته الحيوانية.

١٧ ـ يعتقدوا أيضًا أن الأرواح المتجسدة تسكن عوالم الكون على إختلافها أما الأرواح اللامتجسدة أو المتجولة لا تمكث فى مكان معين ومحدود، بل هى موجودة فى كل مكان فى الفضاء وإلى جانبنا، فهى ترانا وتختلط بنا على الدوام، وهى تشكل شعبًا لا يرى يتحرك حولنا.

١٨ ـ تؤثر الأرواح تأثيرًا مستديمًا على الحياة الخلقية، وحتى على الحياة المادية، وتؤثر على المادة وعلى الأفكار، إذ أنها إحدى قوى الطبيعة والمسبب الفعال لظواهر عديدة كانت أسبابها إلى هذا الحين مجهولة أو مفسرة تفسيرًا سيئًا، وامكن أيضاحها بنحو معقول فى الأرواحية فقط.

١٩ ـ علاقات الأرواح مع الناس مستديمة، فالأرواح الصالحة تحاول قيادتنا إلى الخير وتقوينا فى تجارب الحياة، وتعيننا على إحتمالها بشجاعة وتجلد. أما الأرواح الشريرة، فتغوينا بالشر، وتتلذذ بمشاهدة سقوطنا. ويعتقد الروحانيون بأن إتصال الأرواح بالبشر قد تكون خفية أو علنية. تحدث الإتصالات الخفية بواسطة تأثير الأرواح علينا يدفعنا نحو الخير أو الشر دون أن ندرى به، وعلينا التمييز بين الإيحاء السئ والإيحاء الصالح الآتى الينا.

٢٠ ـ يؤكد الروحانيون أن الأرواح تحضر تلقائيًا أو بالإستدعاء، وإنه من الممكن إستدعاء أى روح من الأرواح لا فرق فيما إذا كانت سابقًا، روح أحقر الناس أو أشهرها، ومهما كان العصر الذى عاش فيه، أو إذا كان من أقاربنا أو أصدقائنا أو أعدائنا، ونطلب منها أن تخاطبنا بالكتابة أو بالصوت، وأن تقدم لنا إرشاداتها ومعلومات عن حالتها بعد موتها، وعن ارائها نحونا، ويمكن أيضًا أن تبيح لنا بما يسمح لها إباحته.

٢١ ـ يقول الروحانيون إن ما يجذب الأرواح إلى مستحضريهم هو إنجذاب الأرواح نحو صفات مستحضريهم الأدبية. فالأرواح السامية تسر بالإجتماعات الجادة، حيث تجد نزعة الخيريين المجتمعين والرغبة الصادقة لدى مستحضريها بأن يتعلموا ويحسنوا أنفسهم.

هذا هو ملخص تعاليم الأرواح كما جاءت بها سجلات الجمعيات

والمراكز الروحانية نقلًا عن الأرواح التى تعاملت معها كما أوضح علماءها، ولكن فلنفحص الآن الإعتراضات على هذا المنهج الروحانى فى تفسير ماهية الروح.

العلم ونقد الدراسات الروحانية

يدعى الكثير من الناس أن رفض الجمعيات العلمية وجهات البحث العلمى لتعاليم ومبادئ المدارس الروحانية وطرق تفسيرها للروح، وإن لم يكن بذاته برهانًا قاطعًا ضد الأرواحية، فإنه على الأقل، أحد عوامل الشك بصحتها. ويدافع المؤمنون بالتعاليم الروحانية بأن العلوم الوضعية تقوم على خصائص المادة التى يمكن إختبارها ومعاينتها وإخضاعها بحسب إرادة الباحثين. أما الظواهر الروحية، فهى تصدر عن كائنات ذكية ذوات إرادة شخصية تبرهن للجميع المرة بعد المرة، بأنها لا تخضع لرغباتنا. وبناء على ذلك، لا يمكن إجراء الإختبارات لهذه الظواهر بنفس الطرق التى نختبر بها ظواهر المادة، لأن مصادرها مختلفة.

فدراسة الروحانيات تتطلب من وجهة نظرهم مستلزمات خصوصية وطرق موافقة لطبيعتها. ومن يصر على إختبارها بذات الوسائل الإعتيادية، فإنه يفعل ذلك معتقدًا بأن هناك تشابها بين الميدانين لا وجود له فى الواقع. كذلك فإن العلم، حسب المعنى المألوف للكلمة، لا يستطيع أن يحكم فى الروحانيات، وليس من خصائصه التدخل فى هذا الأمر، وحكمه لها أو عليها لا أهمية له بتاتًا. إذ يحدث للشخص اعتقادًا وإيمان بالروحانيات عن طريق اليقين، وقد يعتقد بها العلماء كأفراد، بصرف النظر عن صفتهم كعلماء.

إن التعاليم والمبادئ الروحانية قائمة برمتها على وجود النفس والروح وعلى حالتها بعد الموت. ومن المستبعد الظن بأن شخصًا، لكونه متحججًا فى علم

الرياضيات أو لكونه جراحًا شهيرًا، قد يكون حتمًا خبيرًا فى علم النفس. فعندما يشرح الجراح بمشرطه جسد الإنسان ويفتش عن الروح ولا يجدها كما يجد عادة أمام عينيه الأعصاب، أو أنه لا يشاهدها تصعد كسحابة من الغاز، فيحكم حينئذ بأن الروح لا وجود لها، لكونه يبنى رأيه على وجهة نظر مادية بحتة، هل يستنتج من ذلك أنه على صواب رغمًا عن الرأى العام؟ كلا، طبعًا. وأنا فى رأيى الشخصى أن البحث فى شئون الأرواح ليس فى العموم من خصائص العلوم المادية لأن الروح لا مادية.

إنه لو كانت هذه الظواهر الروحانية مقتصرة على الحركة الماديو فى الأشياء، لكان البحث عن أسبابها المادية من خصائص علم الطبيعيات، ولكن لأنها ظواهر خارجة عن دائرة القوانين المعروفة لدى الإنسان، فهى تخرج عن خواص العلوم المادية، إذا لا يمكن شرحها بالأرقام أو بالقوة الميكانيكية. وهكذا فكلما حدثت ظواهر جديدة للأشياء لا تنطبق على العلوم المألوفة، يتحتم على العلماء الباحثين دراستها، وأن يصرفوا النظر مؤقتًا عن دائرة علومهم قائلين فى أنفسهم، نحن إزاء علم جديد وبحث مختلف لا يمكن دراسته بنفس القوانين العلمية المادية التى سبق أن تعلمناها من قبل.

إن الذين نبذوا فى الماضى الإكتشافات العظيمة التى تفتخر بها الإنسانية اليوم، كانوا جميعهم يفعلون ما فعلوه بإسم العقل. والحقيقة أن ما يسميه الإنسان بالعقل، إنما هو فى أكثر الأحيان قالب من الأفكار والتعاليم الثابتة والتى فى أغلب الأحوال لا تتجدد بسهولة، ومن يعتقد بأنه لا يمكن أن يخطئ يساوى نفسه بالخالق والعياذ بالله.

إننا إن شئنا دراسة مذهب لتفسير روح الإنسان مثل المذهب الروحانى، فسنرى أنفسنا أمام ميدان فائق الحداثة والعظمة، بحيث إن الأمر يتطلب إناسًا جادين فى مقاصدهم، ثابتين ولا يعرفون الملل، ومتحررين من سبق الظن

ومصممين بإخلاص على الوصول إلى نتيجة واضحة. لا يصح أن ننسب هذه الصفات إلى هؤلاء الذين يحكمون قبليًا وبسرعة على الظواهر، قبل مشاهدتهم لها، وإلى الذين لا يعطون لأبحاثهم ما يلزمها من المثابرة والإنتظام والرصانة التى لا غنى عنها فى هذا الميدان.

«الإعتراضات الرئيسية على تفسيرات المدارس الروحانية»

يوجد بالأساس اعتراضان أساسيان يجب علينا هنا فى هذا السياق البحثى للدراسات الروحانية أن نستعرضهما لأنهما مبنيان على نظريات عقلية، كلاهما يعترفان بحقيقة الظواهر المادية والمعنوية، ولكنهما ينفيان تدلل الأرواح فيها. يقول الإعتراض الأول إن كل الظواهر التى تنسب إلى الأرواح، إنما هى من أصل مغناطيسى لا غير، وإن الوسطاء ليسوا إلا فى حالة مشابهة للروبصة اليقظة، وهذه الظاهرة معروفة عن كل الذين درسوا علم المغناطيسية. ففى هذه الحالة، تتخذ المقدرات العقلية تطورًا غير عادى، فتزداد دائرة قوة الإحساس الإدراكى إلى ما فوق الإعتيادى. وهكذا يكون فى قدرة الوسيط أن يستحضر من ذات نفسه ونتيجة لإستنارتة، كل ما يقوله وحتى الأشياء التى يجهلها تمام الجهل فى حالته العادية. ويرد الروحانيون على هذا الإعتراض بأنه إذا كان الحال هكذا، فكيف أخذ هؤلاء الوسطاء ينسبون إلى الأرواح ما كانوا قد إستحضروه من داخل أنفسهم؟ وكيف يمكن لهم أن يقدموا لنا تلك التعاليم العالية والمدققة والرصينة عن طبيعة تلك الكائنات الفاطنة اللابشرية؟ ثم إذا كانت الظواهر كلها تصدر من داخل الوسيط، فستكون دائمًا متشابهة لكونها تأتى من نفس الشخص، ولكننا نراه تبعًا لمحاضر جلسات تحضير الأرواح يتكلم كلامًا متباينًا، ويتفوه بأمور يناقض بعضها بعضًا. فإذا لم نجد وحدة الأفكار فى المعلومات الصادرة من ذات الوسيط مباشرة، فيتحتم علينا البحث عن مصدرها فى مصادر أخرى خارجية.

أما الإعتراض الثانى، فيقول أن الوسيط هو ذاته المصدر لكل هذه المخاطبات. ولكنه بدلًا من إستخراجها من داخله، كما يدعى أصحاب النظرية السابقة فى الإعتراض الأول، فهو يأخذها من الوسط حوله. وهكذا يصبح الوسيط تبعًا لوجهة نظر المعترضين كالمرآة العاكسة بجميع هواجس وأفكار ومعارف الأشخاص المحيطين به. وهذا يعنى صحة ما تقوله مبادئ التعاليم الأرواحية بأن للحاضرين تأثيرًا على نوع المخاطبات الأرواحية. لكن هذا التأثير ليس كالتأثير الذى يشيرون إليه هنا، وهو بعيد جدًا عن أن يجعل الوسيط مجرد صدى لأفكار الأشخاص المحيطين به.

ولقد رد الروحانيون على هذا الإعتراض قائلين أن معظم ما يقول به الوسيط على لسان الأرواح التى تتقمصه هى دائمًا غريبه عن أفكار الحاضرين أو أعلى مستوى مما يعرفونه، أو مختلفة عن أرائهم، وإن هذه الإتصالات بين الوسيط والأرواح المحيطه به كثيرًا ما تأتى تلقائيًا وتناقض جميع الأفكار المألوفه، فهى ليست أبدًا إنعكاسًا لأفكار الآخرين الحاضرين لهذا النوع من الجلسات.

وكما نرى من الإعتراضين السابقين، فهى فى معظمها أراء شخصية أتى بها المعترضين على أسلوب ومبادئ الدراسات الروحانية، وليست قائمة على أساس علمى واضح، وقد أتوا بها كتفسير لتلك الظواهر، فى حين أن تعاليم الأرواح واتصالاتهم بالإنسان كما يذكر علماء الروحانيات ليست من مصدر بشرى، أملتها الكائنات الذكيه التى تخابر فى حين لم يكن أحد ينتظر حضورها. ويتساءلون أيضًا: من أين إستخلص الوسطاء تعاليم كهذه لم تكن أبدًا فى خلد أحد على الأرض؟ ويسألون أيضًا: كيف حدث أن إتفق الآف مؤلفة من الوسطاء المنتشرين فى جميع أنحاء الأرض على التصريح بنفس الأشياء، دون أن يعرف أحدهم الآخر.

ختامًا، فإن قضية الدراسات الروحانية ومدى جديتها تحتاج إلى المزيد

من البحث والإستقصاء المحايد الرصين الذى يمكن أن يضيف المزيد من الحقائق التى تساعدنا كباحثين ومفكرين للوصول والاقتراب من حقيقة الاتصال الروحانى بين الأرواح والبشر. إن العائق الأساسى للدراسة العلمية لهذه الظواهر هو وجود نية عدم التصديق والإيمان المسبق بهذه المدارس الروحانية. ولكنى سوف أستشهد هنا بما قاله عالم الروحانيات «ألن كارك»: (إن من يمعن النظر فى سلسة الكائنات الحية وسياقها، يراها كسلسلة متواصلة الحلقات بعضها مرتبط ببعض بلا إنقطاع ما مبتدئة من المادة الجامدة ومتصاعدة إلى أسمى البشر ذكاء.

ولكن فيما بين الإنسان والله أى بين بداية جميع الأشياء ونهايتها، يوجد خلاء عظيم. فهل يعقل أن يكون الإنسان أخر حلقة فى هذه السلسلة؟ وإنه سيقطع دون إنتقالية المسافة التى بينه وبين اللانهاية؟ يقول لنا الإدراك العقلى بأن الإنسان والله لابد من وجود حلقات أخرى، مثلما قال دائمًا علماء الفلك إن بين العوالم المعروفة لابد من وجود عوالم أخرى مجهولة. ما هى الفلسفة التى تدرس هذا الخلاء؟ إن العلوم الروحانية وعلوم ما وراء الطبيعة هى المسئولة عن توضيح هذا الخلاء وإثبات إمتلاءه بالكائنات المتعددة الدرجات التابعة للعالم اللامنظور، وهذه الكائنات ليست إلا أرواح الناس التى قطعت طريق الدرجات المختلفة التى توصل إلى الكمال. وهكذا ترتبط وتتسلسل كل الأشياء من البداية إلى النهاية).